أدب الأطفال بين شوقي وكامل كيلاني

الدكتور/ حمـدي فاروق صالح الشيـخ
مدرس الادب العربي الحديث
كلية التربية النوعية – جامعة المنوفية

ملخص البحث:

للأطفال نصيب كبير عند شعرائنا العرب في العصر الحديث ، فهم زرع اليوم وثمار الغد المأمول، فإذا أحسنت تربيتهم وتهذيبهم على العلم والأخلاق والفضائل السامية آتوا ثمارهم في خدمة وطنهم والارتقاء به

وهذه الدراسة تتناول أدب الأطفال بين شوقي وكامل كيلاني مقارنة مع أدب الأطفال عند لافونتين الفرنسي لنرى كيف تأثر شوقي بالأدب الفرنسي وزاد في إبداعه ولم يقف عند ما وصل إليه الأدب الفرنسي وإن كان شوقي يستخدم القصة على لسان الحيوان والطير فهو يستخدمها رمزية لغرث القيم والمبادئ والأخلاق الفاضلة في نفوس الناشئة كي يشبوا على الفضائل متسلحين بالعلم والخبرة والإبداع.

ولما خامرت الفكرة عقل شوقي وألحت عليه بدأ يكتب للأطفال شعرا يدعو إلى ترسيخ القيم والمبادئ في نفوسهم ، وكانت له انتقادات لاذعة لبعض القضايا الماثلة في المجتمع كان يصورها في شعره ، ويوضح أضرارها ، ويدعو إلى مواجهة الفساد ، ولكن ذلك عن طريق غير مباشر فهو شاعر الأمير ، يخشى على نفسه من بطشه ، ولذلك كان يرسل مثل هذه القصائد بلا توقيع منه أو ينشرها باسم مستعار حتى لا يعرف كاتبها يقول غنيمي هلال : وبدا لشوقي أن الشعر الغنائي لا يكفي لبث آرائه فلجأ إلى القالب الموضوعي قالب القصة على لسان الحيوان ، ثم المسرحية ، ونشير هنا إلى قصة له على لسان الحيوان نشرها عام ١٩٠٠ في المجلة المصرية ، وحرص بعد ذلك على ألا ينشرها في دواوينه خوفا على نفسه ، وعنوانها " دولة السوء " وهي ذات مغزى اجتماعي هجائي " [١]

وفي تناول القصة بين لافونتين وشوقي وكامل كيلاني فإننا نجد دائما الإبداع والتطوير في شعر شوقي وعدم الوقوف عند ما وقف عنده لافونتين بل يغير في شكل القصة ومضمونها حتى تكون من إبداعه ووفق سمو خياله الشعري لتوافق ذوق العصر والبيئة العربية .

[١] غنيمي هلال : في النقد المسرحي ، ط بيروت ١٩٧٥/٩٤

Abstract

Children have a great share among our Arab poets in the modern era, for they are the sowing of today and the fruits of the hoped-for tomorrow. They are well educated and educated on knowledge, morals, morals and virtues. They have borne fruit in the service and advancement of their homeland.

Compared with children's literature, he used it as symbolism to evoke values, dangers, and virtues. In the hearts of young people to grow up a family armed with virtue and creativity.

And when the idea strangled her mind and insisted on him, he begins to print and correspond with children, he calls for principles and principles in their souls, and he has harsh criticisms of the issues in his pictures, clarifies its ideas, and calls for confronting corruption, through corruption. He himself is like these poems without his signature or publishes them under a pseudonym so that he knows them, Ghanimi Hilal says: It seemed to Shawqi that lyric poetry was not enough to broadcast his views, the template of the story on the tongue of the animal, the play. After that, he was careful not to publish it in his books for fear of himself. Its title is "The State of Badness" and it has a satirical social significance" .

The image must be between him and displaying ads to keep the image between him and standing with him.

أولا : أدب الأطفال عند شوقي

اهتم شوقي بأدب الأطفال اهتماما واضحا، ويبدو ذلك في حكاياته على لسان الحيوان والطير التي تقدم للأطفال المعنامين التربوية العظيمة التي تسهم على إعدادهم للحياة في مجتمع قوي عظيم، يقول شوقي مؤكدا تأثره بأدب الأطفال في الغرب وخاصة عند الشاعر لا قونتين :" وجربت خاطري في نظم الحكايات على أسلوب " لا قونتين " الشهير وأنا أستبشر لذلك، وأتمنى لو وقفني الله لأجعل للأطفال المصريين مثلما جعل الشعراء للأطفال في البلاد المتمدنة، منظومات قريبة المتناول، يأخذون الحكمة والأدب من خلالها على قدر عقولهم " [٢]

لقد تأثر شوقي بأدب الأطفال في أوربا، وسار على نهجه في إبداع أدب للأطفال في مصر ليكون هاديا لهم نحو تحقيق وترسيخ المبادئ الوطنية في نفوسهم وكان لصداقة شوقي مع خليل مطران أثر واضح في دعوته إلى التعاون معه لإنجاز هذا الأمر يقول شوقي: ولا يسعني إلا الثناء على صديقي خليل مطران صاحب المنن على الأدب والمؤلف بين أسلوب الإفرنج في نظم الشعر وبين نهج العرب، والمأمول أننا نتعاون على إيجاد شعر للأطفال والنساء، وأن يساعدنا سائر الأدباء والشعراء على إدراك هذه الأمنية [٣].

ولما خامرت الفكرة عقل شوقي وألحت عليه بدأ يكتب للأطفال شعرا يدعو إلى ترسيخ القيم والمبادئ في نفوسهم، وكانت له انتقادات لاذعة لبعض القضايا الماثلة في المجتمع كان يصورها في شعره، ويوضح أضرارها، ويدعو إلى مواجهة الفساد، ولكن ذلك عن طريق غير مباشر فهو شاعر الأمير، يخشى على نفسه من بطشه، ولذلك كان يرسل مثل هذه القصائد يلا توقيع منه أو ينشرها باسم مستعار حتى لا يعرف كاتبها يقول غنيمي هلال : وبدا لشوقي أن الشعر الغنائي لا يكفي لبث آرائه فلجأ إلى القالب الموضوعي قالب القصة على لسان الحيوان، ثم المسرحية، ونشير هنا إلى قصة له على لسان الحيوان نشرها عام ١٩٠٠ في المجلة المصرية، وحرص بعد ذلك على ألا ينشرها في دواوينه خوفا على نفسه، وعنوانها " دولة السوء " وهي ذات مغزى اجتماعي هجائي"[٤]

وقد تضمنت دعوة شوقي عددا من الحكايات الشعرية على ألسنة الحيوان والطير، ذكر منها ٥٥ منظومة في الجزء الرابع من الشوقيات وهو مطبوع في عام ١٩٤٣، وقد جمعت هذه المنظومات تحت عنوان منتخبات من شعر شوقي في الحيوان، وفيها تلقين بكثير من القيم والمعارف والعظات المباشرة وغير المباشرة عن طريق الأدب الرمزي التعليمي .

---

[٢]) الشوقيات : مقدمة ط١ مطبعة المؤيد والآداب ١٨٩٨ .

[٣]) ديوانه مقدمة ط١ ١٨٩٨م .

[٤]) غنيمي هلال : في النقد المسرحي، ط بيروت ٩٤/١٩٧٥

تاريخ أدب الأطفال في مصر: في منتصف ق١٩ ترجم عثمان جلال معظم الحكايات الشعرية الغربية التي تعتمد على الخرافة الغربية ونقلها إلى اللغة العربية متأثرا بالشاعر الفرنسي لا قونتين وأطلق على هذه الترجمة " العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ "، ولذلك يعد هذا الكتاب من أوائل كتب الأطفال في أدبنا العربي، يقول عثمان جلال :" أخذت أترجم في الأوقات الخالية كتاب العلامة الفرنسي الكبير لا قونتين، وهو من أعظم كتب الأدب الفرنسية المنظومة على لسان الحيوان على نسق كتب الصادح والباغم، وفاكهة الخلفا، وسمتيها العيون اليواقظ في المثال والمواعظ، فلما طبعها عرضتها على العزيز عباس باشا الأول فرمى كتابي في وجه حامله [٥]

وعندما أصدر شوقي ديوانه الشوقيات متضمنا حكايات الطفولة، مؤكدا تأثره بأسلوب لا قونتين في حكاياته يقول شوقي :" وجربت خاطري في نظم الحكايات على أسلوب لا قونتين الشهير، وأنا أستبشر قريبة المئناول يأخذون الحكمة والأدب من خلالها على قدر عقولهم [٦]

وفي عام ١٩٢٢ أصدر الشاعر محمد الهراوي ديوانه الأول " سمير الأطفال " ليكون لبنة جديدة من لبنات أدب الأطفال في أدبنا العربي، وتبعه في عام ١٩٢٧ إصدار كامل كيلاني بداية أعماله القصصية للأطفال فأصدر قصة بعنوان " السندباد البحري " يقول عنه خليل مطران : لو لم يكن الأستاذ الكيلاني إلا أنه المبتكر في وضع مكتبة الأطفال بلسان الناطقين بالضاد فكفاه فخرا بها ما قدمه لرفع ذكره وما أحسن به إلى قومه وعصره [٧]

دور شوقي في تأسيس أدب الأطفال : أعلن شوقي في أعقاب عودته من فرنسا أنه سيدعو إلى إرساء أدب جديد للأطفال، وأودع تفاصيل دعوته في ديوانه قصائد متكاملة للأطفال تدعوهم إلى أخذ العظة والعبرة لمواجهة الحياة، وتنمي في نفوسهم روح الوطنية يقول شوقي :" وجربت خاطري في نظم الحكايات على أسلوب لا قونتين الشهير، وفي هذه المجموعة شيء من ذلك فكنت إذا فرغت من وضع أسطورتين أو ثلاث أجتمع بأحداث المصريين، وأقرأ عليهم شيئا منها فيفهمونه لأول وهلة ويأنسون إليه، ويضحكون من أكثره، وأنا أستبشر لذلك وأتمنى لو وقفني الله لأجعل للأطفال المصريين مثلما جعل الشعراء للأطفال في البلاد المتمدنة، منظومات قريبة المتناول يأخذون الحكمة والأدب من خلالها على قدر عقولهم [٨]

---

[٥]) العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ : تحقيق عامر بحتري : مقدمة ط١ ١٩٧٨

[٦]) الشوقيات : مقدمة ط١ ١٨٩٨

[٧]) كامل كيلاني في مرآة التاريخ : مجموعة مقالات، مقال : خليل مطران ص٣٩٣

[٨]) الشوقيات المجهولة : محمد صبري السربوني ٢٢/١ ط ١٩٦١، ومقدمة ديوان شوقي ط ١٨٩٨ طبعة المؤيد والآداب

فشوقي يؤكد أن اهتمامه بأدب الأطفال ثمرة اطلاعه على الأدب الغربي، ويؤكد أن هدفه تعليم الناشئة عن طريق منظومات للأطفال تحتوي على الحكم والأمثال التي تقوم سلوكياتهم، وتهذب طبائعهم، كما يشير إلى دور خليل مطران معه في هذا الميدان .

وقد أخذت الحكايات في الشوقيات طابع الأدب الرمزي، فالشاعر يستخدم شخصيات وحوادث وهو يريد بها شخصيات إنسانية من عالم الواقع فيكون دور الشخصية المستعارة هو دور الشخصية التي ينتقد شوقي أعمالها في عالم الواقع على سبيل الاستهجان لتصرفات غير وطنية وفي الوقت نفسه دعوة إلى التحلي بالفضائل والأخلاقيات وتنمية روح الوطنية في نفوس الناشئة .

محبة شوقي للأطفال إذا أمعن الباحث النظر في شوقي يستطيع أن يفن على حب شوقي للأطفال بصفة عامة وأبنائه بصفة خاصة، فهو يدعو إلى حب الأطفال وحسن معاملتهم، وإشعارهم بالمحبة والأبوة التي تجعلهم يقبلون على الدنيا بصدور منشرحة، ونفوس متفائلة، يقول شوقي :

أحبب الطفل وإن لم يك لك　　إنما الطفل على الأرض ملك
هو لطف الله لو تعلمه　　رحم الله امرءاً يرحمه
عطفة منه على لعبته　　تخرج المحزون من كربته
وحديث ساعة الضيق معه　　يملأ العين نعيما وسعه [٩]

فالشاعر يدعو إلى الحب الإنساني الخالد لكل أبناء الوطن الصغار، ويرى في الطفولة براءة ولطف ملائكي، يدعو إلى الاقتراب منهم والحديث معهم، وملاطفتهم لإثارة السعادة والبهجة في نفوسهم .

ويهمنا من أدب الطفولة الأدب الذي وضعه شوقي لتهذيب الناشئة وتوجيههم إلى القيم والمثل العليا في الحياة، أما ما كتبه شوقي عن أبنائه فلا مجال للحديث عنه، لأن حدثينا ينصب حول أدب الطفولة الموجه للتهذيب والتوجيه كالأناشيد الوطنية كقوله :

اليوم نسود بوادينا　　ونعيد محاسن ماضينا
ويشيد العز بأيدينا　　وطن نفديه ويفدينا
وطن بالحق تؤيده　　ويعين الله نشيده

[٩]) الشوقيات ٣٨/٤

سر التاريخ وعنصره وسرير الدهر ومنبره
نتخذ الشمس له تاجا وضحاها عرشا وهاجا
وسماء السؤدد أبراجا وكذلك كان أوالينا
أبني الأوطان ألا هم كبناء الأول يبنينا
سعيا أبدا سعيا سعيا لأثيل العهد وللعليا
ولنجعل مصر هي الدنيا ولنجعل مصر هي الدنيا [١٠]

فالشاعر يبث في تشيده مبادئ الوطنية، ويتغنى بأمجاد الماضي، ويدعو إلى بناء الوطن ورفع أمجاده، واقتفاء أثر الآباء في بناء مجد الوطن يستنهض هم أبناء الوطن من الناشئة لتشييد أمجاد هذا الوطن، وجعل مصر هي الدنيا والأبيات تسير مشحونة بالعاطفة حتى تثير حماسة الأطفال، أما لغتها فهي جزلة رصينة، تمتاز بموسيقية الأداء، وتعبيرية الإيحاء، لتكون أخذة بيد الناشئة نحو التقدم وبناء المجد .

ثم يأتى المقطع الأخير مصورا رد فتى وفتاة مرددين نشيد الوطنية والدعوة إلى حب الوطن والتضحية من أجله يقول شوقى :

اليوم نسود بوادنيا نعيد محاسن ماضينا
ويشيد العزَّ بأيدينا وطنٌ نفديه ويفدينا
وطن بالحق نؤيده وبعين الله نشيده[١١]

والأبيات على بحر المتدارك وتفعيلته فى الأبيات :

فاعل فعلن فعلن فاعل فعلن فعلن فعلن فاعل

والأبيات خرجت على الغالب التراثى واتجهت إلىلون الموشح، حيث تنوعت القوافي ولجأت إلى التجديد فى الموسيقى .

أما أشكال الموشح عند شوقى فثلاثة الأول :يضم ست موشحات هي:أبو الهول – الجزء الأخير منها– تحية الترك، البسفور كأنك تراه، معالي العهد، النيل، نشيد مصر، وصورة الشكل الأول أربعة أشطر بقافية واحدة وبعدها تتغير القافية، فالأشطر الأربعة الأولى تمثل الطالع وفيه يكون البيتان مصرعين على قافية واحدة ثم تأتي الأشطر الثلاثة الأولى من كل مقطع من المقاطع الباقية على قافية جديدة وتلتزم فى الشطر الرابع قافية الطالع حتى نهاية الموشح نحو :

[١٠]) ديوانه ٤/ ١٦٥
[١١] الشوقيات ١٦٦/١

بحمد الله رب العالمينا وحمدك يا أمير المؤمنينا
لقينا فى عدوك ما لقينا لقينا الفتح والنصر المبينا
هم شهروا أذى وشهرت حربا فكنت أجل إقداما وضربا
أخذت حدودهم شرقا وغربا وطهرت المواقع والحصونا
وقبل الحرب حرب منك كانت نتائجها لنا ظهرت وبانت
ألنت الحادثات بها فلانت وغادرت القياصر حائرينا[١٢]

والمقطع يتكون من مجموعة مقاطع كل منها ذو بيتين، أما المقطع الأول فهو بمثابة الطالع، ويكون بيتاه مصرعين على قافية واحدة من أربعة أشطر تنتهى بقافية واحدة، وتكون الأشطر الثلاثة الأولى من كل مقطع تال على قافية جديدة والشكل الثانى:ويمثله موشح نشيد الكشافة ويكون بهذه الصورة

نحن الكشافة فى الوادى جبريل الروح لنا حادى
يارب بعيسى والهادى وبموسى خذ بيد الوطن
كشافة مصر وصبيتها ومناة الدار ومنيتها
وجمال الأرض وحليتها وطلائع أفراح المدن
نبتدر الخير ونستبق مايرضي الخالق والخلق
بالنفس وخالقها نثق ونزيد وثوقا فى المحن [١٣]

وفى هذا الموشح تكون الأشطر الثلاثة الأولى على قافية واحدة والشطر الرابع بقافية مغايرة، وتكون هذه القافية هي التي يلتزم بها الشاعر فى ختام كل ثلاثة أبيات يضع الشطر الرابع بالقافية نفسها التى ختم بها الشطر الرابع فى المطلع وهى حرف النون فى "الوطن"، المدن، المحن .

والشكل الثالث من الموشح يظهر فى "صقر قريش" وهو ما يعارض فيه شوقى موشح لسان الدين بن الخطيب وفيه يقول شوقى :

من لنِضِو يتنزى ألما برح الشوق به فى الغلسِ
حَنّ للبان وناجى العلما أين شرق الأرض من أندلس
بلبل علمه البين البيان بات فى حبل الشجون ارتبكا

[١٢] الشوقيات ٣٥٢/١
[١٣] اشوقيات /١٥١/٤.

فى سماء الليل مخلوع العنان ضاقت الأرض عليه شبكا
كلما استوحش فى ظل الجنان جَنّ فاستضحك من حيث بكى
ارتدى بُرْنَسه والتثما وخطوة خطا شيخ مُرْعَسِ
ويرى ذا حدب إن جثما فإن ارتد بدا ذا قَعَسِ
فمه القاني على لَبتّهِ كبقايا الدم فى نصل دقيق
مَدّه فانشق من مَنْبِته من رأى شِقي مقص من عقيق[١٤]

ويأتى الموشح السابق فى نوعين من المقاطع، الأول يبدأ استخدامه من الطالع ويتكون من أربعة أشطار تتناوب فى أواخرها قافيتان، والنوع الثانى يبدأ من المقطع الثانى ويتكون من ستة أشطار تتناوب فى أواخرها قافيتان حديثتان متجددتان، والموشح مبني على تناوب هذين النوعين .

ثم يأتى المقطع الأخير مصورا رد فتى وفتاة مرددين نشيد الوطنية والدعوة إلى حب الوطن والتضحية من أجله يقول شوقى :

اليوم نسود بوادنيا ونعيد محاسن ماضينا
ويشيد العزَّ بأيدينا وطنٌ نفديه ويفدينا
وطن بالحق نؤيده وبعين الله نشيده[١٥]

والأبيات على بحر المتدارك وتفعيلته فى الأبيات :

فاعل فعلن فعلن فاعل فعلن فعلن فعلن فاعل

والأبيات خرجت على الغالب التراثى واتجهت إلىلون الموشح، حيث تنوعت القوافي ولجأت إلى التجديد فى الموسيقى .

أما أشكال الموشح عند شوقى فثلاثة الأول :يضم ست موشحات هي:أبو الهول – الجزء الأخير منها– تحية الترك، البسفور كأنك تراه، معالي العهد، النيل، نشيد مصر، وصورة الشكل الأول أربعة أشطر بقافية واحدة وبعدها تتغير القافية، فالأشطر الأربعة الأولى تمثل الطالع وفيه يكون البيتان مصرعين على قافية واحدة ثم تأتي الأشطر الثلاثة الأولى من كل مقطع من المقاطع الباقية على قافية جديدة وتلتزم فى الشطر الرابع قافية الطالع حتى نهاية الموشح نحو :

بحمدالله رب العالمينا وحمدك يا أمير المؤمنينا

[١٤] الشوقيات ٢/٢١٤.
[١٥] الشوقيات ١/١٦٦

لقينا فى عدوك ما لقينا لقينا الفتح والنصر المبينا
هم شهروا أذى وشهرت حربا فكنت أجل إقداما وضربا
أخذت حدودهم شرقا وغربا وطهرت المواقع والحصونا
وقبل الحرب حرب منك كانت نتائجها لنا ظهرت وبانت
ألنت الحادثات بها فلانت وغادرت القياصر حائربنا[١٦]

والمقطع يتكون من مجموعة مقاطع كل منها ذو بيتين، أما المقطع الأول فهو بمثابة الطالع، ويكون بيتاه مصرعين على قافية واحدة من أربعة أشطر تنتهى بقافية واحدة، وتكون الأشطر الثلاثة الأولى من كل مقطع تال على قافية جديدة والشكل الثانى: ويمثله موشح نشيد الكشافة ويكون بهذه الصورة

نحن الكشافة فى الوادى جبريل الروح لنا حادى
يارب بعيسى والهادى وبموسى خذ بيد الوطن
كشافة مصر وصبيتها ومناة الدار ومنيتها
وجمال الأرض وحليتها وطلائع أفراح المدن
نبتدر الخير ونستبق مايرضي الخالق والخلق
بالنفس وخالقها نثق ونزيد وثوقا فى المحن [١٧]

وفى هذا الموشح تكون الأشطر الثلاثة الأولى على قافية واحدة والشطر الرابع بقافية مغايرة، وتكون هذه القافية هي التي يلتزم بها الشاعر فى ختام كل ثلاثة أبيات يضع الشطر الرابع بالقافية نفسها التى ختم بها الشطر الرابع فى المطلع وهى حرف النون فى "الوطن"، المدن، المحن .

والشكل الثالث من الموشح يظهر فى "صقر قريش" وهو ما يعارض فيه شوقى موشح لسان الدين بن الخطيب وفيه يقول شوقى :

من لنِضِو يتنزى ألما برح الشوق به فى الغلسِ
حَنّ للبان وناجى العلما أين شرق الأرض من أندلس
بلبل علمه البين البيان بات فى حبل الشجون ارتبكا
فى سماء الليل مخلوع العنان ضاقت الأرض عليه شبكا

[١٦] الشوقيات ٣٥٢/١
[١٧] اشوقيات /١٥١/٤.

كلما استوحش فى ظل الجنان جَنّ فاستضحك من حيث بكى
ارتدى بُرْنَسه والتثما وخطوة خطا شيخ مُرْعَسِ
ويرى ذا حدب إن جثما فإن ارتد بدا ذا قَعَسِ
فمه القاني على لَبتّهِ كبقايا الدم فى نصل دقيق
مَدّه فانشق من مَنْبِته من رأى شِقي مقص من عقيق[١٨]

ويأتى الموشح السابق فى نوعين من المقاطع، الأول يبدأ استخدامه من الطالع ويتكون من أربعة أشطار تتناوب فى أواخرها قافيتان، والنوع الثانى يبدأ من المقطع الثانى ويتكون من ستة أشطار تتناوب فى أواخرها قافيتان حديثتان متجددتان، والموشح مبني على تناوب هذين النوعين .

فالنشيد الوطني الذي استخدمه شوقي يهز مشاعر الأطفال، ويغرس فيهم القيم والمبادئ الكريمة، والنشيد لا يقتصر على النشيد الوطني بل هناك أنواع كثيرة من الأناشيد يدعو كل منها إلى غاية محمودة، فالنشيد الديني يعمق القيم الروحية، ويسمو بمشاعر الأطفال، ويحرك وجدانهم نحو الفضائل والغايات الكريمة .

وقد استخدم شوقي اللغة الجزلة، القوية ببناء عباراتها، وتدفق إيحاءاتها وكان يهدف أن يسمو بالأطفال ويرتقي بهم وجدانيا، ونفسياً، كما يرتقي بهم دينيا وأدبيا، وفي النشيد تقل أدوات البيان والخيال، وتميل إلى التقريرية وفي ذلك ميل إلى الاستحسان والتأثير.

والنشيد يعمل على التربية الوجدانية، وغرس القيم والمبادئ السامية عند الناشئة، وتلعب لغته في تنمية ملكات التذوق والشعور بالجمال اللغوي والمعرفي عند الأطفال، وهذه المعرفة تمكنهم من النطق الصحيح، والدقة في التعبير بألفاظ جزلة صحيحة، وهذا بدوره يسهم في تنمية الميول الأدبية، والمشاعر الوجدانية عندهم

الحكايات الرمزية على ألسنة الحيوان والطير: من الطرائق المؤثرة التي استخدمها شوقي لتنشئة الأطفال، وغرس القيم الوطنية في نفوسهم الحكايات الرمزية، وهي وسيلة سهلة جميلة تسمو بعاطفة الأطفال، وتوجه خيالاتهم نحو آفاق المستقبل المنشود يقول شوقي في قصيدته " الوطن " :

عصفورتان في الحجا زهلتا على فنن
بيناهما تنتجيان سحرا على الغصن
مر على أيكهما ريح سرى من اليمن

[١٨] الشوقيات ٢/٢١٤.

فالشاعر يصور حياة الأمن والاستقرار بين الطائرين اللذين يتناجيان في سعادة وسرور فوق الأغصان، فإذا بالريح يهب عليهما فيحرك الأفنان، ويهدد الأعشا من فتتوجه إحدى العصفورتين إليه متسائلة : لماذا لا تحتجب عنا، ألم تعلم أن الغصن وطننا، وهل هناك أغلى من الوطن ؟ لماذا لا تمر من الجنوب بعيدا عنا ؟

قالت له إحداهما والطير منهن الفطن
يا ريح أتت ابن السبيل ما عرفت ما السكن ؟
هب جنة الخلد اليمن لا شيء يعدل الوطن

وقد اختار الشاعر رموزه لشخصيات من الواقع فالعصفورتان رمز للطفولة البريئة والفنن رمز للوطن، والريح رمز للعدوان، والنشيد يدعو إلى حب الوطن والدفاع عنه، والتمسك به، لأنه الحياة، ولا حياة بدون الأوطان .

ويستمر شوقي في عرض الإغراءات التي تزين الباطل، وتدعو إلى ترك الوطن والعيش في أماكن أخرى حيث العيش الرغد والحياة السعيدة، هذه الإغراءات يقدمها الريح للطائرين، ويدعوهما إلى الهجرة، وييسر لهما الطريق بأن يركبا على جناحه لينقلهما إلى وطن جديد فهل سيتخدع الأطفال بخديعة الأعداء يقول شوقي :

قالت له إحداهما والطير منهن الفطن
يا ريح أنت ابن السبيل ما عرفت ما السكن
هب جنة الخلد اليمن لا شيء يعدل الوطن

وفي مقطوعة بعنوان "الغراب" يبث فيها شوقي حكمة تعليمية على لسان الطير، مضمونها اختبار الصغير قبل إلقائه في خضم الحياة، لأن عدم الاختبار يؤذي إلى الزج بالصغار في المهالك والأهوال يقول فيها شوقي :

أطلقته ولو امتحنت جناحه لم تطلقي
وكما ترفق والداك عليه لم تترفقي ؟ [١٩]

فالقصيدة تعد نصيحة تربوية موجهة إلى الآباء تحثهم على الرفق بالأنباء، وحسن تربيتهم حتى يستطيعوا مواجهة أعباء الحياة، وتدعوهم إلى اختبار قدرات أبنائهم قبل تكليفهم بالقيام بالأعباء .

[١٩]) الشوقيات ١٩٣/٤

وقد استخدم شوقي في هذا النشيد اللغة الجزلة القوية حرصا منه على الارتقاء بلغة الأطفال والسمو بآفاق معارفهم ليكونوا مثقفين واعين، فإذا غنوا النشيد كانوا فاهمين معنى هذه المفردات اللغوية التي تكون من لبنات تشكيل ثقافتهم اللغوية يقول أفلاطون : إن اللغة التي يتكلم بها الطفل ويفهمها هي التي يغني بها [٢٠]

أما نشيد " المدرسة " فيميل فيه شوقي إلى لغة غاية في السلاسة والوضوح مبتعدا عن غايته في اختبار جزالة الألفاظ، كما يميل إلى وضوح صوره على غير عادته وفي ذلك ما يشير إلى رغبته في انتشار هذا النشيد بسهولته وجمال صوره على لسان كل الأطفال، يقول شوقي :

أنا المدرسة اجعلني كأم لا تمل عني
ولا تفزع كمأخوذ من البيت إلى السجن
كأني وجه صياد وأنت الطير في الغصن [٢١]

فالشاعر يتحدث عن دور المدرسة في إعداد الأجيال وتعليمهم وتثقيفهم، وتنشئتهم على الفضائل، ودعا إلى حب المدرسة، والتعلق بها، والذهاب إليها في رغبة وعدم الذهاب إليها كالمأخوذ من البيت إلى السجن، ولكي تكون المدرسة جنة للأطفال يحلمون بالبقاء فيها، ويستكثرون طول الليل على أنفسهم لبعدهم عن المدرسة دعا إلى جعل المدرسة كالأم تحنو على الأبناء، وتقدم لهم أفضل الأشياء والألعاب يقول شوقي :

أنا المصباح للفكر أنا المفتاح للذهن
أنا الباب إلى المجد تعال ادخل على اليمن
غدا ترتع في حوشي ولا تشبع من صحني

ويقول في نشيد الكشافة وهم من فرق الأطفال في المدرسة يناط بهم حفظ الأمن وتشكيل النظام في المدرسة عن طريق الحكم الذاتي الذي يعلم الأطفال الاعتماد على أنفسهم والانضباط في المجتمع المدرسي، وتحقيق النظام والالتزام والأمن في المدرسة يقول شوقي :

نحن الكشافة في الوادي جبريل الروح لنا حادي
يا رب بعيى والهادي وبموسى خذ بيد الوطن
كشافة مصر وصبيتها ومناة الدار ومنيتها
وجمال الأرض وحليتها وطلائع أفراح المدن

---

[٢٠]) آمال أحمد مختار : لغة الموسيقي " دراسة في علم النفس اللغوي " ط١٩٨٨/١م مركز التنمية البشرة والمعلومات القاهرة ١٩٨٨م

[٢١]) الشوقيات ١٩٦/٤

والأبيات تدعو إلى التعايش السلمي والتسامح بين الشرائع المختلفة، فمحبة الوطن تربط جميع الأبناء، والإحساس بالمسئولية والواجب يقود خطا الجميع، فكلهم أبناء وطن واحد بغض النظر إلى الشرائع السماوية التي دعت كلها إلى التألف والترابط والحب والوفاق.

والنشيد كما نرى يجمع بين الرقة والعذوبة، والسلاسة والجمال، ويدعو إلى الحماسة والنشاط، ولذلك كان من أكثر الأناشيد حبا وترديدا لدى الأطفال في المعسكرات المدرسية والرحلات .

والنشيد حافل بالقيم والمبادئ التي يسعى الشاعر لغرسها في نفوس الأبناء كالوفاء والإخلاص وحب الوطن، والإيمان بجميع الأنبياء والرسل دون تعصب لأحد منهم على حساب الآخر، مصداقا لقوله تعالى :" لا نفرق بين أحد من رسله "

ومن الأهداف التعليمية التي يغرسها النشيد الوطني الإحساس بالمسئولية والقيام بها على أكمل وجه دون تعصب لعقيدة أو شريعة وفي ذلك دعوة إلى التسامح الديني والإحساس بالمسئولية، والقيام بها على أكمل وجه يقول الشاعر:

نبتدر الخير ونستبق ما يرضى الخالقٌ والخُلّق
ونخلي الخلق وما اعتقدوا ولوجه الخالق بختهد
نأسو الجرحى أنى وجدوا وتداوي من جرح الزمن
في الصدق نشأنا والكرم والعفةِ عن مَسَّ الحرّم
ورعاية طفلٍ أو هَرِم والذود عن الغِيد الحّصّنِ [٢٢]

وقد رجع الشاعر إلى استخدام المفردات اللغوية الجزلة للتأثير في الناشئة وتثقيفهم وتنمية مهاراتهم اللغوية، والارتقاء بمعارفهم اللغوية ومن هذه المفردات: ترف تأسو، الغيد، الحصن، اللجج" وغيرها وهذه المفردات لابد أن يعرف الطالب معناها قبل حفظها لتكون من لبنات اللغوي عنده، ولكي تتحقق القيم والمبادئ التي يريد الشاعر غرسها في الأطفال فلابد أن تكون هذه المفردات واضحة لديهم ويقول في نشيد النيل :

النيل العذب هو الكوثر والجنة شاطئه الأخضر
ريان الصفحة والمنظر ما أبهي الخلد وما أتضر

[٢٢]) الشوقيات ١٥١/٤

يوضح الشاعر أهمية النيل في حياتنا فهو كوثر عذب، جعل البسط والجمال على شاطئيه، ونشر الخير في واديه فهو مصدر الخير ونبع التدفق والعطاء من عطائه تجد الزروع والثمار، والخير ينبع من فيضه، وكذلك نحصد القطن الأنور من خير النيل ومن فيض عطائه:

البحر الفياض القدس الساقي الناس وما غرسوا
وهو المنوال لما لبسوا والمنعم بالقطن الأنور
جعل الإحسان له شرعا لم يخل الوادي من مرعى
فترى زرعا يتلو زرعا وهنا يجنى وهنا يبذر [٢٣]

والأبيات كما نرى تسير وفق نغمة موسيقية مؤثرة، وألفاظ سهلة معبرة، بعيدة عن الغموض والتكلف، وقد كان لهذه السهولة والعذوبة أثر عظيم في تعلق النشيد بالقلوب، وجعلته يلح بترديده على ألسنة الناشئة لما فيه من رقة من الألفاظ، وتتاسق في العبارات، وروعة في التصوير، وقدرة على التأثير.

ومن الأناشيد التي نالت حظها من الشهرة وكثرة التردد على ألسنة الفتية نشيد مصر وهو دعوة عظيمة للإحساس بالمسئولية والسعي نحو العمل من أجل تقدم البشرية يقول شوقي في مطلع النشيد :

بني مصر مكانكم تهيا فهيا مهدوا للملك هيا
خذوا شمس النهار له حليا ألم تك تاج أولكم مليا ؟ [٢٤]

ويدعو بعد المقدمة البسيطة التي تحث الأبناء على العمل من أجل نهضة بلادهم يدعوهم الشاعر إلى الأخلاق الحميدة، فهي أساس بناء المجد والملك، ولن يقام مجد تليد إلا على خلق قويم يقول الشاعر :

على الأخلاق خطوا الملك وابنوا فليس وراءها للعز ركن
أليس لكم بوادي النيل عدن وكوثرها الذي يجري شهيا

ثم يدعو إلى الدفاع عن الأوطان، وبذل كل غال وثمين من أجلها، فالتضحية بالنفس المال وبكل ما يملك الإنسان أقل ما يقدم للأوطان يقول الشاعر :

لنا وطن بأنفسنا نقيه وبالدنيا العريضة نفتديه
إذا ما سيلت الأرواح فيه بذلناها كأن لم نعط شيا

---

[٢٣]) الشوقيات ١٤٨/٤
[٢٤]) " ١٤٩/٤

ثم يذكرهم بجهود الآباء في إنشاء الحضارة الفرعونية الراسخة التي ظلت على مر العصور شاهدة بالتقدم والرقي، داعية إلى استكمال التقدم والرخاء محافظة على امتداد التشييد والبناء عبر العصور يقول الشاعر :

لنا الهرم الذي صحب الزمانا ومن حدثانه أخذ الأمانا
ونحن بنو السنا العالي نمانا أوائل علموا الأمم الرقيا

ويؤكد الشاعر أن سر التفوق الحضاري على مر العصور كان باتحاد عنصري الأمة وقوة تضامنهما معا، فهما كجناحي طائر لا يمكن الاستغناء بأحدهما عن الآخر وكذلك فلابد من قوة الترابط بين المسلمين والمسيحيين، فالكل مصريون وأبناء مصر في مواجهة الشدائد لابد أن يكونوا يدا واحدة كما كانوا في الماضي فتعاونهم وتأزرهم من أهم أسباب النصر، وتحقيق التقدم والرخاء يقول الشاعر :

جعلنا مصر ملة ذي الجلال وألفنا الصليب على الهلال
وأقبلنا كصف من عوال يشد السمهري السمهريا
نروم لمصر عزا لا يرام يرف على جوانبه السلام
وينعم فيه جيران كرام فلن تجد النزيل بنا شقيا
إليك نموت – مصر – كما حيينا ويبقى وجهك المغدي حيا

والنشيد كما نرى يدعو كل أبناء مصر إلى التألف والترابط والتعاون لبناء مجد الوطن، ورد المعتدين، ولا يقتصرا النشيد على الأطفال، فهو صالح لكل الأعمار ولكل الأجناس البشرية، فإذا تغنى به الشعب في الصعوبات كان قوة دافعة لهم إلى التقدم والرخاء، وإذا عزف النشيد على لحن شجي وجدت صداه يتردد في قلوب الشباب داعيا إلى القوة والانطلاق .

وتمتاز لغة النشيد بقوة الديباجة، وانتقاء الألفاظ الجزلة القوية والصور القريبة الموحية لتكون مشكلة نموا لغويا في بناء ثقافة الناشئة تدعوهم إلى الارتقاء باللغة والإحساس بالجمال .

ومن الألفاظ الجزلة القوية في النشيد : حليا – تهيا – مليا – شيا – السمهريا – نروم – يرف وهي ألفاظ عذبة متدفقة بالإيحاء ولكنها تحتاج من الناشئة إلى فهم معناها حتى تكون مؤثرة في ثقافتهيم، حافزة لمشاعرهم

ويعد هذا النشيد من أروع أناشيد شوقي التي وضعها للناشئة فأصبح مناسبا لكل الأعمار الزمنية، لما يمتاز به من قرب الصورة، وقوة الديباجة، وسمو العاطفة، ووضوح المغزى، والقدرة على التأثير يقول الشاعر :

لنا وطن بأنفسنا نقيه وبالدنيا العريضة نفتديه
إذا ما سيلت الأرواح فيه بذلناها كأن لم نعط شيا
إليك نموت مصر كما حيينا ويبقى وجهك المقدى حيا

ويرى الباحث من خلال استقراء الأناشيد عند شوقي ما يأتي :

- **أولاً** : ارتقى شوقي بلغة النشيد الوطني ليأخذ بيد الناشئة إلى تكوين ثقافة لغوية، وقدرة تعبيرية تسهم في فهم قضايا لغتهم وتقودهم إلى التطور والارتقاء
- **ثانياً** : لم يخصص شوقي في النشيد الوطني أناشيد لمراحل الطفولة المتقدمة ولكنه حرص على مراحل الطفولة المتوسطة والمتأخرة باعتبارهما من أهم مراحل التنشئة الاجتماعية في حياة الأمة، لاقترابهما من مراحل الشباب والمراهقة وهي الفترة البناءة في حياة الأبناء .
- **ثالثاً** : راعى شوقي جمال التصوير في النشيد الوطني ليكون عاملا على قوة التأثير في النفوس، وبذلك استطاع شوقي في النشيد الوطني أن يسعى إلى تهذيب النفوس، وغرس القيم، والحث على الفضائل، والدعوة إلى الارتقاء بالوطن
- **رابعاً** : الحكايات الرمزية في شعر شوقي : الجانب الثاني من شعر الطفولة عن شوقي ويتمثل في اختيار القصص الرمزي على ألسنة الحيوان والطير بما تحمله هذه الحكايات الرمزية من مضامين تربوية وقيم سلوكية، وانتقادات لأوضاع قائمة في المجتمع يجب تغييرها .

يقول غنيمي هلال موضحا قيمة هذه الحكايات :" الحكاية الخرافية هي حكاية ذات طابع خلقي وتعليمي في قالبها الأدبي الخاص بها، وهي تنحو منحى الرمز في معناه اللغوي العام، لا في معناه المذهبي، فالرمز معناه أن يعرض الكاتب أو الشاعر شخصيات أو حوادث على حين يريد شخصيات وحوادث أخرى عن طريق المقابلة والمناظرة، بحيث يتتبع المرء في قراءتها الشخصيات الظاهرة، وغالبا ما تجئ على لسان الحيوان أو البنات أو الجماد، ولكنها قد تحكى على ألسنة شخصيات إنسانية تتخذ رموز الشخصيات أخرى [٢٥]

وقد استخدم شوقي الحكايات الرمزية على ألسنة الحيوان والطير وأحسن توظيفها في تقديم العظة والعبر للناشئة، كما أسهمت في نقد كثير من تصرفات بعض الأشخاص في المجتمع

[٢٥]) محمد غنيمي هلال : الأدب المقارن ط١٩٧٣ نهضة مصر/١٦٧

والدعوة إلى تهذيبها والأخذ بيدها نحو الحياة السوية، والابتعاد عن الأمور المعقدة في تصرفاتها .

ولبيان أهمية القصة الخرافية على ألسنة الحيوان والطير يقول مجدي وهبة :" الحكاية الخرافية قصة أحداث خيالية يقصد بها حقائق مفيدة في شكل جذاب وينصب عليها مصطلح الخرافة الأخلاقية تبعا للقصص المروية على لسان الحيوان " [٢٦]

ويرى سعد ظلام أن الحكاية الخرافية " فن يتسرب بجوهره الأصيل في عدة اتجاهات فقد يكون في خدمة المجتمع والسياسة أو غرضا للتربية والتقويم، ووسيلة من وسائل التثقيف والإنهاض، أو هي سوق واقعة أو وقائع حقيقية أو خيالية لا يلتزم فيها الحاكي قواعد الفن الدقيقة بل يرسل الكلام كما يواتيه طبعه [٢٧]

ويرى الباحث أن الحكاية على لسان الحيوان والطير فن أدبي راق، يعتمد على أسس ومقاييس رمزية ترتبط بنقد عالم الوقع الحقيقي، فصور الشخصيات التي ترسم في الحكايات الرمزية لابد أن تكون شخصيات متكاملة قادرة على التصوير والتأثير ومماثلة للشخصيات التي تمثلها في عالم الواقع، فالقصة لابد أن تكون مترابطة ترابطا عضويا دقيقا تقوم على انتقاء الشخصيات التي تقوم بالأحداث في زمان محدد ومكان واضح، وفق ترتيب أحداثها، وترابطها من أجل تشكيل حبكة فنية تسهم في استكمال أحداثها .

ولابد أن يكون فيها عقدة وهي المشكلة الحقيقية التي تتشابك عندها أحداث القصة ثم تنفرج إلى نهاية إما محددة يرتضيها الشاعر أو مفتوحة تترك لخيال المتلقي، وإذا طبقنا هذه المقاييس على الحكايات الرمزية يتضح لنا أنها فن إبداعي قائم على أسس راسخة متنامية وليست بلا أسس كما يقول سعد ظلال ولنأخذ إحدى الحكايات الرمزية من ديوان شوقي لنرى كيف تكاملت عناصرها وتتابعت أحداثها ولتكن " قصة الأرانب والفيل " التي تتمثل خطوطها في زمان قديم ومكان في الصحراء تعيش فيه الأرانب وتتخذ منه وطنا لها، وبجوارها يسكن الفيل ولكل عالمه الخاص، فإذا بالعقدة تتمثل في اتخاذ الفيل مكان يسكن الأرانب طريقا له في الذهاب والإياب، وفي سيرة على الجمور يقتل الصغار ويفتك بكل من يسكن الدور من أمة الأرانب، وهنا تتمثل المشكلة الحقيقية في القصة ويشعر الجميع بخطورتها فيجتمع أعضاء الجماعة للتشاور في الخلاص من هذه المشكلة وتتباين الآراء بين اتخاذ وطن آخر والرحيل عن

---

[٢٦]) مجدي وهبة : معجم مصطلحات الأدب /٢٦

[٢٧]) سعد ظلال : الحكاية على لسان الحيوان : دار التراث العربي ٢١/١٩٨٢

الوطن ويعارض الباقون هذا الرأي مؤكدين على غاية تعليمية وهي أن الوطن له حق الدفاع على أبنائه، ويأتي ثاني الآراء والاستعانة بالثعلب للتخلص من الفيل وهذا الرأي يلاقي غضب الجميع مؤكدين أن العدو لا يمكن التخلص منه بعدو جديد وهي حكمة تعليمية عظمى تهدف إلى تعليم الناشئة هذه القيم العليا والمبادئ السامية، ومن ثم نأتي للرأي الصواب النابع من الإحساس بالمشكلة، ولا يكون إلا من خبير مجرب في الحياة فيشير عليهم بالخديعة وفيها حفر حفرة كبيرة ثم تغطى بالحشائش لتجذب إليها الفيل حتى يتخلص الجميع من شره، وهنا تتفق الآراء، ويبدأ الجميع في تنفيذ الخطة المحكمة ليقع فيها العدو اللدود وتنتهي القصة بالتخلص من الأعداء والعيش في الأوطان في أمن وسلام يقول شوقي مصوراً بداية الزمان والمكان والشخصيات :

يحكون أن أمة الأرانب قد أخذت من الثرى بجانب
وابتهجت بالوطن الكريم وموئل العيال والحريم
فاختاره الفيل له طريقا ممزقا أصحابنا تمزيقا

وعندما يصل إلى المشكلة العقدة يبدأ التشاور للتخلص من المأزق بنقد الآراء واختيار أدق الحلول للتخلص من المشكلة يقول شوقي :

وكان فيهم أرنب لبيب أذهب جل صوفه التجريب
نادى بهم : يا معشر الأرانب من عالم وشاعر وكاتب
اتحدوا ضد العدو الجافي فالاتحاد قوة الضعاف
فنهن الأول للخطاب فقال : إن الرأي ذا الصواب
أن نترك الأرض لذي الخرطوم كي نستريح من أذى الغشوم
فصاحت الأرانب الغوالي هذا أخر من أبي الأهوال
ووثب الثاني فقال : إني أعهد في الثعلب شيخ الفن
فلندعه يمدنا بحكمته ويأخذ اثنين جزاء خدمته
فقيل : لا يا صاحب السمو لا يدفع العدو بالعدو

وهنا نصل إلى رأي الثالث، وهو الرأي الصواب بعد رفض الرأيين السابقين والدعوة إلى التمسك بالوطن والدفاع عنه، والبقاء فيه رغم الصعوبات ومحاربة أعدائه للتخلص منهم والعيش في أمان، وعدم الاستعانة بالأعداء لمحاربة الأعداء فيخرج عدو ويستقر الآخر فيطالب في كل

لحظة بفضله ومنه وجهوده في تحرير الوطن ومن ثم يستعبد أبناء الوطن ويعيش فيهم العدو سيدا وهذا شره أكثر من خيره.

أما الرأي الثالث فرأي حكيم مجرب مخاطر الحياة، معتبر من أحداثها، متغلب على حلوها ومرها ولذلك يقول صاحبه :

اجتمعوا فالاجتماع قوة ثم احفروا على الطريق هوه
يهوى إليها الفيل في مروره فنستريح الدهر من شروره
ثم يقول الجيل بعد الجيل قد أكل الأرنب عقل الفيل

هنا نجتمع الآراء على هذا الرأي، ويبدأ تنفيذ الخطة في الليل حتى لا يشعر بهم العدو، وإذا به يفاجأ في الصباح بهذه الخديعة، فيقع فيها ويتخلص الجميع من شروره، وبذلك تنتهي الحكاية نهاية محكمة دقيقة بعد أن استوفت عناصرها في شكل الحكاية القصصية المثيرة الشائقة، ولو مثلث على المسرح لرأيتها قصة محكمة، وإذا استمعت إليها أو قرأتها تستطيع فهم فحواها وتأخذ العبرة من أحداثها يقول شوقي :

فاستصوبوا مقاله، واستحسنوا وعملوا من فورهم فأحسنوا
وهلك الفيل الرفيع الشأن فأمست الأمة في أمان [٢٨]

ويتضح لنا من خلال عرض هذه الحكاية على سبيل المثال لا الحصر أن الحكاية " ليست مجرد حكاية خرافية بل منهج فكري استخدمه الإنسان القديم ليعبر به عن نظرته إلى الكون : بدء الخليقة، نظام الكون، الصراع الأزلي بين الخير والشر، فالأسطورة في منشئها حادثة أو مجموعة من الأحداث التاريخية الهامة التي تحولت في مخيلة الإنسان القديم إلى أحداث خارقة للمألوف ربطت بالدين ومن ثم يخلع أبطالها رداءهم البشري " [٢٩]

كما أن تقدي النصيحة على لسان الحيوان والطير أنفع للأطفال من تقديم النصيحة مجردة، فالحكاية تظل راسخة في ذهن الأطفال، وتظل تلح بجمالها وترابط أحداثها على عقولهم مؤكدة المضامين التربوية، والقيم الأخلاقية فيها .

والحكاية على لسان الحيوان والطير في قصص تعليمية من أقدم الفنون التي عرفتها البشرية، وقد سبق النثر الشعر في هذا المجال، وليس بخاف علينا حكايات كليلة ودمنة التي

---

[٢٨]) الشوقيات ١٠٧/٤

[٢٩]) رندل كلارك : الرمز والأسطورة : ترجمة أحمد صليحة، ط الهيئة المصرية للكتاب / ٣

ترجمت عن الفارسية وأصبحت المرجع الأصلي لكل الترجمات بعد أن فقدت النسخة الأصلية التي كتبها الفيلسوف الهندي بيديا والتي ترجمت إلى الفارسية ونقلها ابن المقفع إلى العربية [٣٠]

وقد استخدم الكتاب الحكايات النثرية لأهداف تعليمية قبل ظهورها في الشعر فلما تأثر بها لا قونتين ونظم الحكايات شعرا أعجب بها شوقي وغيره من الشعراء وحاولوا النسج على منوالها مظهرين تأثرهم بحكايات لا قونتين، وقد بدا ذلك واضحا في اعترافاتهم بتأثرهم أو خظم حكايات مماثلة لحكايات وردت عند لا قونتين كما في حكاية " فأر المدينة وفأر الريف "وهي بالعنوان نفسه عند عثمان جلال : فأر الخلا وفأر المدينة، وعند شوقي " فأر الغيط وفأر البيت"، فلا قونتين يصور دعوة فأر المدينة فأر الريف إلى مأدبة فيلبي، وفي أثناء الاستمتاع بالمائدة يسمع الفأران أصواتا مفزعة من خارج البيت، هذه الأصوات صورها عثمان جلال بخياله بأصوات القط وهو تدخل منه يضفي على قصته لونا من الإبداع والتجديد، واحتذى حذو لا قونتين وأثر وضع الحكمة في نهاية القصة ومضمونها أن الرضا بفتات الطعام في الريف في أمن وسلام أفضل من أكل اللحوم في المدينة حيث الفزع والخوف " [٣١]

أما شوقي فأخذ يفصح في القصة عن غايات تعليمية، وقيم تربوية، ولم يقف عند ما وقف أمامه عثمان جلال ولا لا قونتين بل صور الفأر متمردا على الواقع طموحا لا يشبع طموحه إلا طلب المعالي، والمغامرة في سبيل الوصول إلى غايته، وبذلك يرفض النصيحة ويعتبرها لونا من التخريف وذهاب العقل يقول شوقي :

فعطفت على الصغير أمه — وأقبلت من وجدها تضمه
تقول إني يا قتيل القوت — أخشى عليك ظلمة البيوت
كان أبوك قد رأى الفلاحا — في أن تكون مثله فلاحا
فاعمل بما أوصي ترح جناني — أولا فسر في ذمة الرحمن
فاستضحك الفأر وهز الكتفا — وقال من قال : بذا قد خرفا

ثم يصور شوقي نهاية الفأر المغرور الذي لا يسمع نصيحة أمه، وتأخذه مطامعه إلى المهالك، يقول الشاعر مصورا نهايته :

فصادفته في الطريق ملقى — قد سحقت منه العظام سحقا
فناحت الأم وصاحت واها — إن المعالي قتلت فتاها [٣٢]

---

[٣٠]) انظر : سعد ظلال : الحكاية على لسان الحيوان : دار التراث العربي ط ٣٨/١٩٨٣

[٣١]) انظر : حكايات لا قونتين : ترجمة جيهان فرنجة /٦٣

[٣٢]) الشوقيات ١٠٠/٤

ومن الحكايات المشتركة أيضا بين لا قونتين وشوقي وعثمان جلال حكاية " الدب في السفينة " وهي تدعو إلى غاية تعليمية مضمونها : عدو عاقل خير من صديق جاهل، يتناول الشعراء الثلاثة هذه الحكاية ويسير كل منهم في عالمه الخاص مصورا أثر الجهل والغباء وانعكاسه على البشر، فلا قونتين يقدم الحكاية في قصيدتين

الأولى بعنوان " الدب والصاحبان " وقد نقلها عثمان جلال عنه بعنوان " ألدبة والصاحبان " ويعرض فيها قتل الدبة صاحبها جهلا وغباء وهي تريد دفع الذباب عن وجهه فألقته بالحجر لتقتل الذباب على وجهة فلفظ الرجل أنفاسه، وراح ضحية الجهل والخداع وعلى غرار لا قونتين يسير عثمان جلال في قصته ويقول مصورا نهاية القصة بمأساتها :

ولم تكن تنفع تلك الصحبة بل رب موت جاء من محبه
وغالبا كل عدو عاقل في الناس خير من صديق جاهل [٣٣]

والحكاية الثانية عند لا قونتين بعنوان "الشقيقان والدب" ويقول في نهايتها مصوراً الحديث بين جون وشقيقه " بيتر " فلقد علمنا الدب نحن الاثنين بألا نبيع في المرة القادمة أي فراء لا يزال يجري على أربع في الغابة [٣٤]

وينظم عثمان جلال حكايته بعنوان " الدب والصاحبان " متأثرا بفكرة لا قونتين نفسها ويقول في نهايتها مصورا لحظة هجوم الدب على الصاحبين :

لكن من لطف إلهي بهما سخر أسباب النجاة لهما [٣٥]
خذ كلامي وعلى هذا فقس لا تطمعن في حيوان مفترس

أما شوقي فيختلف في تناوله الحكاية، فلم يقف بها عند رؤية لا قونتين ولا رؤية عثمان جلال، وإنما غير في فكرتها ومضمونها وطبعها بطابع شخصي خاص به واختار لها عنوان " الدب في السفينة "، وجعل السفينة رمزا للحياة لا غاية لها كما كانت عند لا قونتين أو عثمان جلال، والدب جعله شوقي ذكرا لا أنثى، ولذلك ابتعد عن الخيال الذي سبح معه السابقون في جعل الرجل يتزوج بالدبة ويعيشان معا حياة أليفة ثم يأتي في النهاية فتحاول الدبة دفع الدبابة عن زوجها فتقتله، هذا لم يقف أمامه شوقي واستبعده من البداية، وجعل القرو في السفينة كقائد لها وهو اتجاه ينتقد فيه شوقي الواقع السياسي في المجتمع فإذا كان القرد قائد للسفينة أو ملاحا

---

[٣٣]) محمد عثمان جلال : العيون اليواقظ /٣٦

[٣٤]) حكايات لا قونتين : ترجمة جيهان فريجة/١٥

[٣٥]) العيون اليواقظ/١١٢

يقف محركا وفتها في خضم بحر متلاطم الأمواج، هائج الرياح فإن ذلك يقتضي حكمة وخبرة وفطنة وأني هذه الحنكة للقرد ؟ يصوره شوقي ساعة اضطراب الأمواج مفكرا في نفسه متجاهلا من يركبون معه السفينة، فنراه فزعا مضطربا لا يحكم السيطرة على توجيه السفينة، وفي لحظات جزعه يقول الموت خير من انتظاره ويقفز في البحر تاركا السفينة للغرق بعد أن لاعبتها الأمواج فأطاحت بها الرياح وتلك غاية تعليمية يهدف إليها شوقي وهي أن الموت مع الجماعة خير من ترك الجماعة في ساحة الشدة، أما استعجال الموت، وترك الجماعة فلا يكون إلا مع الغباء والجهل وانعدام الوازع الديني يقول شوقي :

وقال إن الموت في انتظاري والماء لا شك به قراري
قد قال من أدبه اختباره السعي للموت ولا انتظاره

ويلح شوقي على الغاية التعليمية من هذا المشهد قائلا :

ما كان ضرني لوا متثلت ومثلما قد فعلوا فعلت

ويدعو إلى حسن الظن بالآخرين، لأن سوء الظن بهم يؤدي إلى التهلكة، ولذلك حرص على تصوير الدب بالغباء وسوء الظن والجزع وعدم القدرة على مواجهة الصعوبات وهي غايات يوجه شوقي إلى إتباع أضدادها لأنها أساس الحياة:

الدب معروف بسوء الظن فاسمع حديثه العجيب عني
فقال يا لجدي التعيس أسأت ظني بالبني الرئيس [٣٦]

الثعلب والديك بين لا قونتين وشوقي وعثمان جلال، هذه الحكاية تناول فيها شوقي المكر والدهاء والخداع في أفعال الثعلب، وقد تناول شوقي حكاية الثعلب في سبع حكايات مختلفة، هي : الثعلب والديك، الثعلب في السفينة، والثعلب والأرانب في السفينة، والأسد والثعلب والعجل، والثعلب وأم الذئب، والجمل والثعلب، وفي كل حكاية يبين شوقي ما يتصف به الثعلب من مكر وخداع، أما في حكاية الثعلب والديك فإننا نجد اختلافا واضحا في تناولها بين شوقي ولا قونتين وعثمان جلال، والحكاية يلخص مضمونها في قول شوقي :

فلا تثق يوما بذي حيلة إذ ربما ينخدع الثعلب [٣٧]

وفي تصوير الحكاية يقول لا قونتين :" شعر الثعلب بجوع شديد عندما راودته فكرة وجرى مباشرة نحو القرية، وساقه القدر إلى ريك لذيذ المذاق، ولم يكن قد ذهب بعيداً عندما رأى ديكا فوق شجرة على جانب الطريق يبدو شهيا، وجاء الثعلب على أسفل الشجرة، ثم نادى الديك في صوت غاية في الرقة وهو يبتسم بطريقته الودود أيها السيد الديك : لماذا أتت جالس عاليا

[٣٦]) الشوقيات ١٢٣/٤
[٣٧]) " ١٨٠/٤

هكذا؟ لماذا لا تنزل هنا؟ إن عندي بعض الأنباء الطيبة، وكان الديك صامتا واكتفى بتضييق عينيه الصغيرتين، وأحكم قبضته قليلا على فرع الشجرة التي يجلس عليها، فقال الثعلب: إنك لن تحتاج إلى الخوف مني بعد الآن، تعال وقل إننا قد أصبحنا صديقين حقا، فقال الديك : إنني لمسرور جدا عندما أفكر أننا سوف نصبح أصدقاء، سوف أنزل إذا انتظرت دقيقتين فقط، إنني أرى بعض الكلاب تجري من القرية في هذا الاتجاه، وسوف تكون هنا حالا ففر الثعلب قائلا : سأراك في وقت آخر أيها السيد الديك [٣٨]

وبهذه الخديعة استطاع الديك خداع الثعلب الماكر الذي يضرب به المثل في المكر والخداع وعلى الطريقة نفسها سار عثمان جلال في بناء حكايته القصصية فاستخدم الشجرة مكانا آمنا للديك، واستخدم الكلام لتكون عامل فزع للثعلب، وبنى حكايته على طريقة لا قونتين، ووضح طريقة احتيال الثعلب على الديك، ولكنه وضح أن فطنة الديك كانت وراء نجاته حيث قال للثعلب إني أرى في الأفق كلبين قادمين يجريان وأظنهما ساعيين فخاف الثعلب وفر هاربا يقول عثمان جلال :

وها رأى كلبين مقبلين عسى يكونا ساعيين
ففزع الثعلب للكلبين وفر يشكو لغراب البين [٣٩]

أما شوقي فتناول الحكاية متأثرا بروح الفن لا بشكله، واتخذ من الثعلب والديك مثلا لأبطال القصة، ثم رسم بمحض خياله طريقة جديدة للاحتيال عن طريق الخداع بالمظهر فجعل الثعلب يخرج في ثياب زاهد يدعو إلى الحق والخير وهو يصور في قصته ما آل إليه الأمر في البلاد من خداع وحيل، واستخدام المظاهر الكاذبة لخداع البشر ثم وضح أن من البشر من يمتاز بالفطنة ولا ينساق وراء خدع الماكرين ويمثل هذه الشخصية الديك الذي استطاع برجاحة عقله، وحدة ذكائه أن يواجه مكر الثعلب، ويكشف حيلته ويفضحه على الملأ ليكون في ذلك عبرة للمخادعين يقول شوقي :

برز الثعلب يوما في شعار الواعظينا
فمشى في الأرض يهذي ويسب الماكرينا
يا عباد الله توبوا فهو كهف التائبينا
وازهدوا في الطير إن العين عين الزاهدينا
واطلبوا الديك يؤذن لصلاة الصبح فينا

[٣٨]) حكايات لا قونتين : ترجمة جيهان فريحة /١٨
[٣٩]) العيون اليواقظ/٩٢

ثم يرسم شوقي في قصته صورة رمزية تدل على انخداع بعض السذج بأقوال انخادعين المتظاهرين بالتقوى والصلاح، فيصور الديك في رده على رسول الثعلب تصويرا ينم عن فطنة وذكاء وجرأة في الحق يقول شوقي :

فأجاب الديك عذرا يا أضل المهتدينا
بلغ الثعلب عني عن جدودي الصالحينا
إنهم قالوا وخير القول قول العارفينا
مخطئ من ظن يوما أن للثعلب دينا [٤٠]

وبذلك تخرج الحكاية عن شوقي على الطريقة الرمزية التي ينتقد بها عالم البشر في صورة انتقاده عالم الطير والحيوان، ويقدم العظة والعبرة لتكون خير هاديا إلى البشر وبذلك يحقق شوقي الغاية التعليمية من القصص الرمزي على لسان الحيوان والطير، فالحكاية ترمز إلى بزوع فجر الصحوة والحرية، والديك يرمز إلى نمو الوعي القومي وظهور ثمرته في المجتمع والقصة تنتقد المجتمع وتشير إلى انتشار الفساد وتوجه إلى يقظة الشعوب وتبين أن إرادة الشعوب لا يقف أمامها مظهر للخداع وأن الظلم لابد أن يزول وإن طال الظلام .

والقصة تدعو الأطفال إلى عدم الانخداع بمظاهر النفاق، وتوجههم إلى أخذ الحيطة والحذر في التعامل مع الماكرين، وتؤكد أن الطبع يغلب التطبع، وتؤكد أن من جبل على الخداع والنفاق لا يكون تقويمه سهلاً لأن طبيعة الإناء تتضح بما فيه .

ومن الحكايات المشتركة بين شوقي ولا قونتين حكاية " الأسد والضفدع " وقد أطلع عليها شوقي في أدب لا قونتين واستقى مضمونها من الحكايات الرمزية وأضفى عليها طابعه الخاص.

والحكاية عند لا قونتين بعنوان " الأسد والضفادع " وعند عثمان جلال بعنوان :" الضفدعة التي تريد أن تساوي الثور " وقد استبدل بالأسد الثور ليكون التغيير دليلا على إظهار التأثير والتأثر بين السابق واللاحق فإذا نظرنا إلى مضمون الحكاية عند الشعراء الثلاثة نجده واحدا وهو إظهار أثر الطموح المدمر على صاحبه، فالغرور يدفع بالضعيف إلى الشعور بالمساواة مع الأقوياء دون وجود إمكانات تساعده على تحقيق طموحه، ومن ثم تكون نهايته إلى الهاوية والغناء يقول عثمان جلال عن الضفدعة :

---

[٤٠]) الشوقيات ١٧٧/٤

وأخذت تتبع شرب الماء وملأت فوارغ الأحشاء
فانتفخت لوقتها وانفقعت وحملتها أختها ورجعت
وهكذا ضلالها أوقعها والنفس لا تحمل إلا وسعها [٤١]
انفع بما أعطيت من قدرة واشفع لذي الذئب لدى المجمع
إذ كيف تسمو للعلا يا فتى إن أتت لم تنفع ولم تشفع
قالوا استوى الليث على عرشه فجئ في المجلس بالضفدع
وقيل للسلطان هذي التي بالأمس آذت عالي المسمع
تنقيق الدهر بلا علة وتدعي في الماء ما تدعي

والحكاية كما نرى تختلف في مضمونها عن حكاية لا قونتين وحكاية عثمان جلال فهي نقد اجتماعي لاذع لمظاهر الحياة الاجتماعية والسياسية في البلاد في عصر شوقي حيث تساق الضفدعة بلا ذئب إلى الحاكم وتقدم لمحاكمة ظالمة وهكذا كانت الأوضاع آنذاك، ويستمر شوقي في انتقاده مصوراً بطانة السوء التي تضلل الملك، وتحجب عنه الحقائق ويصورها في صورة القاضي ضخم الجثة صاحب العقل البليد الذي يلقي بالاتهام ويقدم وثيقة العقاب والإعدام قائلا :

فانظر إليك الأمر في ذنبها ومر نعلقها من الأربع

ويؤكد شوقي أن الخير باق في كل زمان ومكان ويمثل الخير هنا الوزير الذي يشير على الأمير بأنه أكبر من يقلقه نقيق الضفادع، فالأسد لا تؤثر فيه ضفدعة، ولذلك يأمر الأمير بالعفو عنها ويأمر بإنشاء مستنقع لها تسبح فيه وتلهو بنفس راضية يقول الشاعر :

فنهض الفيل وزير العلا وقال يا ذا الشرف الأرفع
لا خير في الملك وفي عزه إن ضاق جاه الليث بالضفدع
فكتب الليث أمانا لها وزاد أن جاد بمستنفع [٤٢]

ولم تقف شاعرية شوقي عند الموضوعات المطروقة عند لا قونتين أو عثمان جلال أو قصص كليلة ودمنة التي ترجمها ابن المقفع، بل تعدى ذلك إلى نسج حكايات من نسج خياله تؤكد تفرده وخصوصيته وتفوقه في إظهار هذا الفن الشعري، ومن هذه الحكايات حكاية النملة وجبل المقطم وهي حكاية مصرية خالصة، تهدف إلى غايات تعليمية عظيمة، فهي تدعو إلى

[٤١]) العيوان اليواقظ /٦
[٤٢]) الشوقيات ١٢٩/٤

الإيمان بالقدر، وتؤكد أن الفرار من القدر مستحيل، وما على الإنسان إلا الأخذ بالأسباب وترك النتائج على مسبب الأسباب يقول شوقي :

كانت النملة تمشي مرة تحت المقطم
فارتخى مفصلها هيبة الطود المعظم
وانثنت تنظر حتى أوجد الخوف وأعدم
قالت: اليوم هلاكي حل يومي وتحتم

ثم يصور شوقي حالها وهي خائفة من القدر، ناظرة إلى الجبل، يخيم على خيالها أن الجبل سيسقط عليها فتموت فإذا بها تقع في الماء فتغرق، فتقول ساعة الموت نادمة، وعندها لن ينفع الندم : ليتني سلمت الأمر لله، ورضيت بالقدر، فالعاقل من يرضى بالقدر ويفوق الأمر إلى الله، ويأخذ بأسباب النجاة، وبذلك يقدم شوقي الحكمة التعليمية من خلال قصته، فتكون واقعية مؤثرة في الناشئة يقول الشاعر :

فسعت تجري وعينا ها ترى الطور فتندم
سقطت في شبر ماء هو هند النمل كاليم
فبكت يأسا وصاحت قبل جري الماء في الفم
ثم قالت وهي أدرى بالذي قالت وأعلم
ليتني سلمت فالما قل من خاف فسلَّم [٤٣]

ويلاحظ الباحث على حكايات شوقي ما يلي :

- ❖ تنوع المضامين في الحكايات فلم تقف عند مضمون واحد أو قيمة واحدة ولكنها تعددت بتعدد الحكايات كما تتعد والمضامين التربوية أحيانا في بعض الروايات والحكايات.
- ❖ لم يقف شوقي في حكاياته عند المغزى الذي وقف أمامه لا قونتين أو محمد عثمان جلال أو بيدبا في حكايات كليلة ودمنة التي ترجمها ابن المقفع، بل نجد له لمسات خاصة تنقل الحكاية إلى الناشئة في صورة فنية مطبوعة بطابع خاص يميز حكايات شوقي .
- ❖ سما الشاعر بلغته فجاءت سلسة في عبارات قوية وألفاظ موحية تدعو إلى ارتقاء خيال الأطفال والسمو بالمستوى اللغوي عندهم فلم ينزل إلى اللهجة العامية، أو يضمن حكاياته ألفاظا غريبة بل لجأ إلى السهل الممتنع الذي يدعو إلى الشعور بالجمال والبهجة.

---

[٤٣]) الشوقيات ١١٠/٤

❖ استخدام الأوزان الشعرية القصيرة والخفيفة التي تناسب في روعة إيقاعها وجمالها ما يدعو إلى البهجة والطرب عند الأطفال الذين يتلقون هذه الحكايات فتكون الإيقاعات متدفقة كتدفق تيار الدماء الناشئ عن إيقاع ضربات القلب نتيجة الإحساس بالطرب والجمال .

ظهور خبرة الشاعر وثقافته في حكاياته عن الحيوان والطير فهي تنم عن وعي دقيق بخفايا حياة هذه الكائنات، ولذلك استطاع أن يخوض في أدق تفاصيل حياة الحيوان والطير في حكاياته، يقول بيدبا في مقدمة كليلة ودمنة عن طبيعة الحيوانات والطيور :" إن الحيوانات البهيمية قد خصت في طبائعها بمعرفة تكتسب بها النفع وتتوقي المكروه [٤٤]

بث الحكمة والأمثال من خلال عرض الحكايات الرمزية لتكون محققة الغايات التوجيهية والتعليمية فيها

يعد شوقي أول من دعا إلى جعل أدب للأطفال، وقد شفع دعوته بإنشاد شعر قصصي تعليمي للأطفال، اعتمد فيه على الإبداع والتأثر وعدم الوقوف عند ما قاله السابقون بل يطور في الحكايات، ويضمنها العبر والعظات لتكون عونا للناشئة في مواجهة تطورات الحياة

إذا كانت ترجمات عثمان جلال في العيون اليواقظ تمثل مرحلة الترجمة لغرس أدب الأطفال في شعرنا العربي، فإن الحكايات في الشوقيات تعد اللبنة الأولى لغرس هذا الفن في أدبنا العربي

أعلن شوقي صراحة بعد عودته من فرنسا عن اقتناعه بطريقة لا قونتين في نظم الحكايات الرمزية للأطفال، وأكد تأثره به فقال :" وجربت خاطري في نظم الحكايات على أسلوب لا قونتين الشهير وفي هذه المجموعة شيء من ذلك فكنت إذا فرغت من وضع أسطورتين أو ثلاث أجتمع بأحداث المصريين وأقرأ عليهم شيئا منها فيفهمونه لأول وهلة، ويأنسون إليه ويضحكون من أكثره، وأنا أستبشر لذلك، وأتمنى لو وقفني الله لأجعل للأطفال المصريين، مثلما جعل الشعراء للأطفال في البلاد المتمدنة، منظومات قريبة المتناول يأخذون الحكمة والأدب من خلالها على قدر عقولهم [٤٥]

---

[٤٤]) كليلة ودمنة : المقدمة/٦ط الشعب ١٩٨٧م

[٤٥]) الشوقيات : المقدمة ط المؤيد والآداب ١٨٩٨م

والشوقيات المجهولة : محمد صبري السربوني : ج١/٢٢ ط ١٩٦١ م

أكد الشاعر مقارنه مع خليل مطران في إيجاد ادب للأطفال والنساء ودعا الشعراء آنذاك إلى المساهمة في إعداد هذا الأدب يقول شوقي :" ولا يسعني إلا الثناء على صديقي خليل مطران صاحب المنن على الأدب والمؤلف بين أسلوب الإفرنج في نظم الشعر وبين نهج العرب، والمأمول أننا نتعاون على إيجاد شعر للأطفال والنساء، وأن يساعدنا سائر الأدباء والشعراء على إدراك هذه الأمنية [٤٦]

يعد شعر الطفولة عند شوقي مرحلة متقدمة من مراحل ظهور هذا الأدب في أدبنا العربي كما يعد أساساً لشعر الطفولة الذي نشأ بعد شوقي، لأنه الشعر الوحيد الذي نبع من وجدان شاعر مصري في مرحلة البدايات هادفا إلى إنشاء هذا الفن في أدبنا العربي أما " العيون اليواقظ " لمحمد عثمان جلال فهي ترجمة لا إبداع أما مؤسس هذا الشعر في أدبنا العربي فهو أمير الشعراء شوقي، ثم جاءت المحاولات بعده لتطوير هذا النوع الأدبى يقول على الحديدي " قبل أن يكتب شوقي حكاياته ترجم عثمان جلال كثيرا من حكايات لا قونتين في كتابه : العيون اليواقظ في الحكم والأمثال والمواعظ في شعر عربي مزدوج القافية، وكانت ترجمته حرة لم يتقيد فيها بالأصل، وحاول تمصير الحكايات العامية في صورة زجل، وبعد ذلك ألف إبراهيم العرب نظماً لكتاب خرافات على لسان الحيوان أسماه : آداب العرب، وسار فيه على طريقة لا قونتين، لكن هذين الأديبين لم يكتبا حكايتهما للأطفال بل كتباها للكبار، ومن ثم تخرج عن مجال أدب الأطفال الذي يكتب ابتداء لهم [٤٧]

---

[٤٦]) السابق /٢٢

[٤٧]) انظر : عبد الغني البدوى : كامل كيلاني الرائد العربي للأدب، سلسلة مذاهب وشخصيات الدار القومية للطباعة ١٨/١٩٦٣

ثانيا : أدب الأطفال عند كامل كيلاني :

أصدر كامل كيلاني عام ١٩٢٧ قصة بعنوان " السندباد البحري " ثم أتبعها بمجموعة قصصية أخرى تصور مراحل الطفولة المختلفة، يقول خليل مطران :" لو لم يكن للأستاذ الكيلاني إلا أنه المبتكر في وضع " مكتبة الأطفال " بلسان الناطقين بالضاد فكفاه فخراً بها ما قدمه لرفع ذكره، وما أحسن به إلى قومه وعصره[٤٨]

ولد كامل كيلاني في العشرين من أكتوبر ١٨٩٧م بحي القلعة بالقاهرة، وحفظ القرآن الكريم في كتاب بالقرب من منزله، والتحق بمدرسة أم عباس الأولية ١٩٠٧م، وتعلق في صباه بحفظ الشعر، وعندما أتم دراسة " البكالوريا " في مدرسة القاهرة الثانوية تفرغ لدراسة الإنجليزية والفرنسية، وأخذ يتردد على دروس الجامع الأزهر ليتعلم الأدب واللغة والمنطق، وفي عام ١٩٢٠ اشتغل بالتدريس في مدرسة الأقباط الثانوية بدمنهور، وفي عام ١٩٢٢ عمل بوزارة الأوقاف واستمر بها حتى خروجه بالمعاش عام ١٩٥٤م

وقد عمل رئيسا لتحرير جريدة الرجاء عام ١٩٢٢، وبدأ التأليف القصصي للأطفال من بداية عام ١٩٢٢ م وذلك بقصته " السندباد البحري " وتوفي عام ١٩٥٩ وسوف يقف الباحث أمام بعض المنظومات التي أثبتها كامل كيلاني في نتاجه القصصي، وهي بعنوان " محفوظات" وقد أوردها داخل السياق القصصي يقول في نشيد بعنوان " نشيد مصر " :

سماؤك يا مصر أصفى سماء وأرضك أرض الغنى والرخاء
ونيلك يا مصر جم العطاء فمنه الغذاء ومنه الكساء
على ضفتيه نما مجدنا ومنه عرفنا فنون الوفاء
أعز الغوالي حياتي ومالي وأهلي جميعا لمصر الفداء [٤٩]

ويلاحظ الباحث على هذا النشيد الميل إلى التقريرية النثرية، والابتعاد عن الخيال والتصوير فهو أقرب إلى النثر منه إلى الشعر، وإذا كتب على الطريقة النثرية لكان أفضل من الشعرية .

أما من حيث مضمونة فهو يدعو إلى تعلق الناشئة بالوطن، ويوثق عرى الارتباط به، ويقوي في نفوسهم الارتباط به ويدفعهم إلى التغني بالأمجاد ووجوب حماية الثروات ويقول في نشيد آخر بعنوان " دندش " :

---

[٤٨]) كامل كيلاني في مرآة التاريخ : مجموعة من الكتاب ٣٩٣/٢

[٤٩]) قصص جغرافية وأساطير أفريقية ج٢ ط ١٩٤٠، محفوظات : نشيد مصر، كامل كيلاني في ط ١٩٤٠

أيها الأحباب أيها الرفاق
كل ثعلب طبعه النفاق

ثم يبدأ في رسم حكاية الأرنب الذي خاف من الثعلب أو خاف من طلقات الرصاص حتى هرب يقول الشاعر :

سمع الأرنب عند الجسر
صوت رصاص فمضى يجري
حظ نجاة من عند الله
هرب الأرنب ومضى يجري
خلف الأشجار بين الأزهار
أين سيذهب أن لا أدري ؟

ويرى الباحث أن هذه الحكاية كالسابقة تسير على طريقة الحكاية الصريحة، بأسلوب بسيط، تخلو من الخيال والتصوير، وتجرد من أي قيمة تعليمية أو أدبية أو أخلاقية، وتسعى بلا هدف، فلا أدري أكان يقصد إنشاد الشعر للشعر أم لغاية أخلاقية ؟ فإن كانت الثانية فأين هي في شعره، لقد خلا تماما منها، والقصة كما نرى ممزقة ليس فيها لبنات البناء الفني للقصة فلم تحدد عقدة ولا صكة فنية وإنما سارت على سبيل السرد البسيط الواضح دون أن تحدد مشكلة ولا ترسم حلا لها، ولم تقدم غاية تعليمية أو أدبية أو أخلاقية للأطفال، وما هي إلا نظم ردئ لا يقدم جديدا للطفولة ولم يسبق إليه، ولم يكن اقتداءً بالشعراء السابقين شوقي وعثمان جلال وإبراهيم العرب وغيرهم .

ويقول في قصة أخرى بعنوان : " عنقود العنب " :

قصة عنقود العنب عجيبة من العجب
وطرفة من الطرف وتحفة من التحف
نادرة ظريفة شائقة لطيفة
وكل ما فيها عبر لعاقل إذا اعتبر [٥٠]

[٥٠]) حكايات الأطفال : كامل كيلاني " محفوظات " ج ٣٢/٤

هذا عن المقدمة التي قدم بها قصته مؤكدا أنها تحتوي على عظات وعبر ينبغي ان يدركها كل من تأمل واعتبر، ثم يبدأ في سرد أحداث قصة طفلة صغرة تحاول سرقة عنقود من العنب دون أن تستأذن أباها أو أمها وهل ستأذن الطفل أباه أو أمه ف السرقة ؟ قول الشاعر :

قد أقبلت سميرة واجمة حسيرة
وفكرت مليا ثم اعتلت كرسيا
وهي تروم الغبا ما استأذنت فيه أبا

ويتساءل الباحث أين كان عنقود العنب ؟ لم يحدد الشاعر مكانه، ثم أوحى بأنه قريب من البيت كأنه في حديقة البيت، وإذا كان فيالحديقة فهو ملك للأسرة، وإذا أخذ الطفل شيئا من ثمار بيته فهل يعد سارقا ؟

ويلجأ الشاعر إلى الرمز عن طريق استخدام الببغاء وهي غير مقتصرة على الحقول فهي موجودة في البيوت والحقول، وهذا استمرار لتشرد الذهن، وعدم تحديد مكان أحداث القصة وتوضيح حقيقة الحدث الذي يقصه فيقول على لسان الببغاء :

يا سوءها من قصة إن قيل عنك لصة
خائنة العهود سارقة العنقود
يا قبحها من سيرة تذاع يا سميرة
فسارعي لأمك تابئة من جرمك
وراقبي الديانا والتمسي الغفرانا
فأدركت سميرة فعلتها الكبيرة
وأسرعت لأمها مقرة بجرمها
والتمست رضاها واستغفرت أباها
وأقبلت عليهما فقبلت يديهما

وعلى أي الحالات فإننا إذا أمعنا النظر في مضمون القصة نرى أنها تحذر من عاقبة السرقة والاعتداء على ممتلكات الآخرين، وتدعو إلى التوبة والاستغفار من الذنب والإصرار على عدم العودة إليه مرة أخرى .

وكان ينبغي للشاعر أن يكون دقيقا في عرض حكايته القصصية بدقة وفق تسلسل منطقي لأحداثها، وأن يقوم موضحا مكان الحدث وطبيعته، بما لا يدع مجالا للتساؤل عنه، ثم يوضح حقيقة المعصية التي استحقت الندم والتوبة .

ونقف أمام قصة بعنوان :" الغراب الغادر " يقول في مطلعها :

لقد حدثتا أقدم الأمثال فيما مضى من الزمان الخالي
بقصة تروى عن العصفور أبصر في وكر من الوكور
فرخ غراب مشر فاعلى التلف فقال للفرخ اطمئن لا تخف
وصار عنده العزيز الغالي وأكرم الأنباء والعيال
حتى إذا الفرخ إذا غرابا لم ير غير قتله ثوابا
وأهلك الغراب من رباه جزاء ما قدم من حسناه [٥١]

والقصة كما نرى تهدف إلى تقديم غايات تعليمية غير مباشرة تؤكد أن من يصنع المعروف مع غير أهله يندم، ولذلك يجب تقديم المعروف لأهله لأنهم أحوج إليه فهم الذين يصونونه ويقدرونه .

كما تؤكد القصة أن جزاء الإحسان لا يكون إلا الإحسان أما الغدر والخيانة فمن طبائع النفوس السيئة التي جعلت على الخديعة والنفاق، وتدعو القصة إلى تقدير الجميل وصيانته وروه بأجمل منه

أما ألفاظ القصة فهي سهلة واضحة ليس فيها غموض أو حوشية، والقصة تتسم بالإيجاز، كما ترتبط أحداثها برباط دقيق يؤدي إلى حبكة فنية شائقة والقصة بذلك جيدة وهادفة ومناسبة لمرحلة الطفولة.

ونقف أمام منظومة شعرية هادفة للأطفال بعنوان " الوقت " وهي تدعو إلى حسن استخدام الوقت في إنجاز ما يريده الإنسان، فالوقت غال ثمين، وإذا ضاع لا يعود ولذلك يجب على الإنسان حسن استخدامه فيما يفيد يقول كامل كيلاني :

قال الطير ولقد حل الشتاء حل فصل البرد واشتد الصقيع
فوداعا – أيها الغصن – وداعا سوف ألقاك إذا عاد الربيع
سوف ألقاك إذا ما الطير عادت في الربيع الطلق تشدو بالغناء
ثم قال الوقت للناس وداعا إنني أنفس شيء في الوجود
ترجع الأوراق والطير جميعا وأنار من حيث أمضي لا أعود ٥٢

[٥١]) قصص شكبير " الملك ليره " : كامل كيلاني، ط القاهرة د . ب
[٥٢]) الملك العجيب " سلسلة ألف ليلة وليلة " : كامل كيلاني/٢٦

فالشاعر يدعو الأطفال إلى حسن استغلال الوقت فيما يفيد، ويحذرهم من ضياعه لأنه لا يعود وهذه قيمة تعليمية جيدة يؤكدها الشاعر بقوله :

ترجع الأوراق والطير جميعا وأنا من حيث أمضي لا أعود

لقد احتفى كامل كيلاني بشر الطفولة وضمنه داخل قصصه للأطفال، فهو يهدف إلى إمتاع الأطفال وتهذيبهم، ونفعهم بالحكم والأمثال التي تقود خطاهم نحو مستقبل منشود، وكان الشاعر يضمن شعره في خاتمة قصصه، فيقول في خاتمة قصته " النحلة العاملة ":

أنا لا زلت تلميذا صغيرا ولكني على صغري مجد
أسير إلى العلا سيرا حثيثا وأنشط نحو غايتها وأعدو
وليس يضيرني صغري إذا لم يثبطني عن العلياء جهد
وما يغني الفتى طول وعرض إذا لم يغنه فهم ورشد
فليس يقاس إنسان بشبر ليعرف قدره أن جد وجد
ونبت القمح مرتفع قليلا ولكن هل له في النفع حد ؟
هو القوت الذي نحيا جميعا به وهو الذي ما منه بد

فالشاعر في مطلع القصيدة يؤكد على أهمية الجد والاجتهاد، ويدعو الأطفال إلى السير إلى العلا، ويؤكد الشاعر أن الإنسان بطموحه وجده، وبما يقدمه من عطاء للبشرية فهو نافع كنبات القمح، وإن تطوله من هو أطول منه أو أكبر منه ولكنه بما يقدمه من خير لا بما يتطاول به على الناس، ثد يدعو الشاعر إلى العلم والإخلاص فهما متلازمان ولا قيمة لأحدهما بدون الآخر، لأن العلم لابد أن يقدم بإخلاص لنفع الناس وهذا أثمن شيء في الحياة يقول الشاعر :

وفخر المرء علم يبتغيه وإخلاص يحيله وكد
وسوف أكون مثل القمح نفعا وقدما أحرز السبق المجد
نعم وأحب فعل الخير جهدي وأسهر للعلا والمجد بعد [٥٣]

والقصيدة تسير على وزن وقافية واحدة، وتقدم العظة والعبرة للأطفال بلغة سهلة، وألفاظ بسيطة، وموازنة بين نفع الإنسان ونفع النبات للتأكيد على أن قيمة الإنسان بما يقدمه من نفع للآخرين، وأهميته في الحياة تكون بعلمه وجده من أجل الارتقاء بالوطن .

وقد قدم كامل كيلاني مجموعة قصصية جيدة للأطفال، وقدم في ختام كل قصة منها مجموعة من الأبيات تدعو الأطفال إلى قيم ومبادئ يجب التحلى بها، وهذه القصائد الشعرية تدفع بقائلها إلى مكانة مرموقة في الإسهام والارتقاء بأدب الأطفال .

[٥٣]) النحلة العاملة : كامل كيلاني : سلسلة قصص علية ج٣

المصادر والمراجع

١- أحمد أبو السعد: أدب الأطفال –أغاني ترقيص الأطفال – ،دار العلم للملايين، الإسكندرية ٢٠٠٢
٢- إسماعيل عبد الفتاح – أدب الأطفال في العالم المعاصر ، مكتبة الدار العربية للكتاب ، القاهرة ، ط ١. ١٩٩٤ .
٣- أحمد زلط : أدب الأطفال بين كامل الكيلاني ومحمد الهراوي – دراسة تحليلية ناقدة ، دار المعارف ،القاهرة .
٤- أحمد شوقي : الشوقيات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبان ، ط ٢.
٥- أحمد عبد المجيد: أحمد شوقي الشاعر الإنسان ، دار المعارف،القاهرة .
٨ –أحمد نجيب : أدب أطفال (علم وفن) ، دار الفكر العربي ، ط ١٩٩١.
٩- أنس داود : أدب الأطفال – في البدء كانت أنشودة – ،دار المعارف،الإسكندرية١٩٩٣.
١٠- بيان الصفدي : شعر الأطفال في الوطن العربي – دراسة تاريخية نقدية، الهيئة العامة السورية للكتاب ،دمشق ط. ٢٠٠٨ .
١١-جابر عصفور : مفهوم الشعر – دراسة في التراث النقدي ، مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب.
١٢- حسن شحاتة : أدب الطفل العربي – دراسات وبحوث – ، الدار المصرية اللبنانية ، الإسكندرية .
١٣- سمير عبد الوهاب : أدب الأطفال – قراءات نظرية ونماذج تطبيقية – ، دار المسيرة .
١٤- عبد الفتاح أبو معال :أدب الأطفال –دراسة وتطبيق – ، دار الشروق
١٥ –محمد مرتاض :من قضايا أدب الأطفال، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر.
١٦- مصطفى الصاوي الجويني : حول أدب الأطفال ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ،
١٧- منير سلطان : الإيقاع في شعر شوقي الغنائي ، منشأة المعارف الإسكندرية ط ٢٠٠٤.
١٨- نجيب الكيلاني: أدب الأطفال في ضوء الإسلام ، مؤسسة الرسالة ، سورية .